وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التوثيق القرآني لغزوة بدر الكبرى

أ. أحمد محمد شعبان

باحث في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

يأخذ التوثيق أهميته ومكانته من أهمية الموثق ومكانته، ولا ريب فإن القرآن الكريم يتبوأ المكانة الأسمى بين المصادر التي اهتمت بتدوين الأحداث وتوثيقها؛ فهو كلام الله تعالى تكفل بحفظه من أي تغيير أو تبديل، فقال : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } [1] وقال: { لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه } [2].

ومظاهر هذا الحفظ كثيرة متعددة، أهمها: نقله إلينا متواتراً جيلاً عن جيل ، كتابة في السطور وحفظاً في الصدور. [3] وهذا التواتر يفيد العلم الضروري من حيث الثبوت لا يمكن دفعه في أي آية ورد ذكرها في القرآن الكريم.

وهذا الأمر على جليل أهميته في مجال التوثيق إلا أنه محل إجماع المسلمين ، فلا حاجة لإطالة البحث فيه .

منهج القرآن الكريم في توثيق الأحداث

يتميز منهج القرآن الكريم في توثيق الأحداث بأمور عدة أهمها: كون الحدث فيه تابعاً للأمر الذي سيق لأجله ، من عظة أو توجيه أو بيان أو منة أو غير ذلك من الأمور التي وظف الله سبحانه وتعالى الأحداث لأجلها

---

(1) الحجر آية 9 .
(2) القيامة آية 16-17 .
(3) راجع في هذا كتب علوم القرآن الكريم كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي وغيرها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

، لا نقول إن توثيق الأحداث في القرآن الكريم غير مراد البتة وإنما نقول: إن توثيق الأحداث في القرآن ليس مراداً بالدرجة الأولى من إيراد الحدث بل تابع للأمر الذي سيق الحدث لأجله؛لهذا فقد جاء التوثيق القرآني للأحداث مختلفاً عن غيره من وجوه :

الأول : إيراد الأحداث غير مرتبة زمنياً :

فعلى سبيل المثال: أنزلت سورة الأنفال بأكملها بعد انتهاء غزوة بدر ، وهي خاصة بها ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عنها : "تلك سورة بدر"[1]. ولو تأملنا الأحداث التي وردت في هذه السورة لوجدناها غير مرتبة وفق سير الغزوة من يوم خروجه ρ إلى بدر وحتى عودته إلى المدينة وفق ما يورده أصحاب السير والمؤرخون ، بل نجد أن السورة بدأت بالحديث عن الأنفال التي اختلف بعض الصحابة عليها عقيب الانتهاء من الغزوة ؛ وذلك للفت أنظارهم إلى أمر هو الأهم عنده سبحانه وهو تزكية النفوس وتطهيرها عن أن تتعلق بعرض من الدنيا قليل ، فقال: { يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله } واجتنبوا ما أنتم فيه من المشاجرة فيها أو الاختلاف أو إخفاء شيء منه بناء على أنكم كنتم موعودين به { وأصلحوا ذات بينكم } ، بالرد والمواساة فيما حل بأيديكم { وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين } .

ثم ثنى الحديث فيها عن تردد بعض المؤمنين في القتال ، وتوجيههم إلى بذل النفوس في سبيل الله ؛ وهذا التردد حدث قبل بدء المعركة.

بل نجد القرآن الكريم يقارب بين الأحداث المتباعدة إذا كانت تجتمع في الأمر الذي سيق الحدث لأجله .

(1) صحيح مسلم ، التفسير ، باب في سورة براءة والأنفال والحشر 2322/4 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انظر مثلاً قوله تعالى: { وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم الآية }[1] هذه الآية مستأنفة مسوقة لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين مع ما بهم من الجزع وقلة الحزم ، وقوله سبحانه وتعالى بعدها : { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الآية }[2] بدل منها، وهي مسوقة أيضاً لبيان جميل صنعه بالمؤمنين وما أيدهم به من الملائكة ، وقوله سبحانه بعدها : { إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به الآية }[3] بدل ثان من { إذ يعدكم } على أرجح أقوال أهل العلم وهي مسوقة أيضاً لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين وإظهار نعمة الطمأنينة التي أنزلها الله على قلوبهم بالنعاس الذي غشيهم بعد أن أطار الخوف كراهم .

والوعد في الآية الأولى كان بذفران[4]، و الاستغاثة في الثانية كانت بعد وصولهم إلى بدر واصطفافهم للقتال ، والنعاس الذي غشيهم والمطر الذي أنزل عليهم كان ليلة بدر ، فجمع الله سبحانه بين هذه الأحداث المتباعدة في سياق واحد ، وجعل بعضها بدلاً من بعض كأنها حدثت في وقت واحد ؛ كل ذلك لأنها مسوقة لبيان جميل صنع الله سبحانه وتعالى بالمؤمنين .

بل نلحظ أمراً آخراً في هذه الآيات وهو تقديمه سبحانه وتعالى للآية التي تحدثت عن إمداد المسلمين بالملائكة على الآية التي تحدثت عن الطمأنينة والنعاس الذي غشيهم والمطر الذي أنزل عليهم ؛ بالرغم من أن هذه مقدمة في

---

(1) من الآية 7 من سورة الأنفال
(2) من الآية 9 من سورة الأنفال.
(3) من الآية 11 من سورة الأنفال.
(4) ذفران/ بفتح أوله وكسر ثانيه ، واد صغير ينتهي أعلاه بثنية بين جبلين - هي ريعه - ويتفرع منه طريق صعب إلى بدر ، سلكه النبي ρ في طريقه إلى بدر. السمهودي 281/4 ، الطريق النبوي ص40 ، معجم معالم الحجاز 257/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سير الأحداث على تلك ، وذلك لكون الأولى أبلغ في إظهار المنة وجميل الصنع من الثانية.

بل نلحظ ما هو أعظم من ذلك حيث ينقل القرآن الكريم طرفاً من حديث غزوة بدر إلى سورة أخرى هي سورة آل عمران وفي سياق حدث آخر وهو حدث غزوة أحد وذلك في قوله تعالى : { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة الآية }[1] والسبب في ذلك توظيف الحدث في خدمة الوظائف الدعوية والإيمانية وغيرها ، فلقد همت طائفتان من المؤمنين في غزوة أحد بالتخلف عن القتال خوفاً منه ، فأورد سبحانه في هذا السياق طرفاً من أحداث غزوة بدر ذكرهم فيها بالنصر الذي حققه لهم رغم قلتهم وذلتهم.

الثاني: عرض الحدث في غالب الأحيان مجملاً:

وهذا الإجمال هو أحد مميزات التوثيق القرآني للأحداث ، فهو يطلق الحدث عن الزمن الذي وقع فيه ، ويعطيه دلالات تتسع باتساع الأزمان والأجيال التي تستقي من معين هذا النبع العظيم.

انظر مثلاً قوله تعالى: { هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية }[2] فقد روى البخاري ومسلم[3] أنها نزلت في المبارزة التي وقعت في بداية غزوة بدر بين عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم من المسلمين وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من المشركين. بيد أنك تستطيع أن تستشهد بها على كل خصمين اختصموا أحدهما على الحق والثاني على الباطل في أي وقت وفي أي مكان.

---

(1) من الآية 123 من سورة آل عمران.

(2) من الآية 19 من سورة الحج.

(3) البخاري ، التفسير ، باب { هذان خصمان اختصموا في ربهم } 1768/4 ، ومسلم ، التفسير ، باب في قوله تعالى : { هذان خصمان اختصموا في ربهم } 2323/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتأمل أيضاً قوله تعالى: { ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين الآية }[1] . فقد ذهب المفسرون مذاهب شتى في المراد بقوله تعالى: { بكلماته } هل هي الآيات الموحى بها في هذه القصة؟ أو أوامره للملائكة بإمداد المؤمنين ؟ أو بما قضى من أسر الكفار وقتلهم وطرحهم في قليب بدر؟ كل هذه المعاني وغيرها تحتملها كلمة واحدة هي قوله : { بكلماته } ولك أخي الكريم أن تستشهد بهذه الكلمة أيضاً بأحداث أخرى ظهر فيها الحق على الباطل في أي زمان وأي مكان .

لذلك كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الثالث: أسلوب التعبير عن الحدث:

وهذا يعود إلى الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، وهو علم قائم بذاته ، ألفت فيه مؤلفات كثيرة والحديث عنه في هذه العجالة أمر عسير.

إلا أنه لك أن تتأمل قوله تعالى : { وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم الآية }[2]

لم أجد فيمن كتب عن هذه الغزوة من عبر عن قافلة المشركين والجيش الذي خرج لحمايتها بـ (ذات الشوكة وغير ذات الشوكة) إلا القرآن الكريم ؛ وذلك للتنبيه على سبب ودادتهم ملاقاة العير ونفرتهم من ملاقاة النفير وإعجاز مثل هذا لا يخفى.

بل تأمل قوله تعالى: { ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله الآية }[3]

---

(1) من الآية 7 من سورة الأنفال.
(2) من الآية 7 من سورة الأنفال.
(3) من الآية 47 من سورة الأنفال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لم يسرد الحدث سرداً كما هو المعهود في كتب السير والتاريخ ، بل ساق الخبر أولاً في معرض التوجيه { ولا تكونوا ... } ولم يغفل جانب القوة والكثرة والمال الذي خرجت به قريش فاختصرها بقوله : { بطراً ورئاء الناس } ثم قال: { ويصدون } فعبر عن بطرهم بصيغة الاسم التي تدل على التمكين والثبات ، وعن صدهم بصيغة الفعل التي تدل على التجدد والحدوث وذلك كما قال الفخر الرازي: "لأن أبا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب أما صدهم عن سبيل الله إنما حصل في الزمان الذي أكرم فيه النبي ρ بالنبوة" (1).

ثم إن في هذه الآية اختصاراً؛ فقريش خرجت أول ما خرجت لمنع العير فالتقدير: خرجوا من ديارهم ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها بطراً ورئاء الناس. وهذا الاختصار فيه لدى التأمل من الإعجاز ما لا يخفى.

محاور التوثيق القرآني لغزوة بدر :

نستطيع أن نلخص غزوة بدر في ثلاثة محاور: **الأول: مقدمات الغزوة وأسبابها. الثاني: أحداث الغزوة ووصفها. الثالث: نتائج الغزوة.**

ولدى استقراء الآيات التي نزلت في غزوة بدر والتأمل فيها نجد أنها استوعبت هذه المحاور كلها وفق المنهج الذي تحدثت عنه في المبحث السابق .

فقد تناولت **في المحور الأول** خروجَ النبي ρ من المدينة للقاء القافلة، ومشاورته أصحابه في ذفران لما جاءه الخبر بنجاتها ، وكراهة بعضهم القتال وما أحاط بذلك من أحداث وذلك من قوله تعالى : { كما أخرجك ربك من بيتك

(1) التفسير الكبير للرازي 173/15.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالحق } الآية الخامسة من سورة الأنفال إلى قوله : { ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون } الآية الثامنة من السورة .[1]

كما تحدثت في هذا المحور أيضاً عن استعدادات جيش المشركين وخروجهم من مكة لمنع العير ، ثم متابعة مسيرهم إلى بدر رغم نجاتها بطراً ورياء وصداً عن سبيل الله وذلك في قوله تعالى : { إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله } الآية 36 من سورة الأنفال. وفي قوله : { ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس } إلى قوله : { والله شديد العقاب } الآيتان 47 - 48 من السور نفسها.

وأما المحور الثاني (أحداث المعركة ووصفها) فقد تناولته الآيات بشكل أوسع ، فذكرت الأماكن التي نزل فيها جيش المسلمين وجيش والمشركين والقافلة وذلك في قوله تعالى: { إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم } الآية 42 من سورة الأنفال.

كما تحدثت عن استغاثة الرسول ρ والمسلمين بربهم ، وإمدادهم بالملائكة ، وإنزال النعاس والمطر عليهم ، وتقليل عدد المشركين في أعينهم ؛ كل ذلك ليثبت قلوبهم ويرهب عدوهم وذلك في قوله تعالى : { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم } الآية 9 من سورة الأنفال إلى قوله تعالى : { ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار } الآية 14 من السورة. وفي قوله : { إذ يريكهم الله في منامك قليلاً } إلى قوله : { وإلى الله ترجع الأمور } الآيتان 43 – 44 من السورة. وفي قوله : { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة } الآية 123 من سورة آل عمران إلى قوله : { فينقلبوا خائبين } الآية 127من السورة.

(1) راجع في هذا كتب أسباب النزول ، وكتب التفسير التي اعتنت في هذا الجانب كالطبري والصنعاني وغيرهما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتحدثت في هذا المحور أيضاً عن استفتاح المشركين وقول أبي جهل : " اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يُعرف فأحنه الغداة[1] ، اللهم انصر خير الدينين"[2] وذلك في قوله تعالى: { إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح } الآية 19 من سورة الأنفال . كما تحدثت عن المبارزة التي حصلت في بداية المعركة بين عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم من المسلمين وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من المشركين ؛ وذلك في قوله تعالى : {هذان خصمان اختصموا في ربهم} الآية 19 من سورة الحج .

وتحدثت الآيات أيضاً عن مشاركة النبي ρ في القتال ورميه الحصباء في وجوه المشركين ، وذلك في قوله: { فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } الآية 17 من سورة النساء.

وأما المحور الثالث (نتائج الغزوة) فكان التركيز عليه أكثر من سابقيه ، فقد تحدث الآيات عن النصر الذي حققه المسلمون في غير ما موضع ، مبينة أن حقيقته من عند الله تعالى ، وذلك في قوله: { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة } الآية 123 من سورة آل عمران. وقوله : { وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم } الآية 126 من سورة آل عمران . وقوله تعالى : { وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم } الآية 10 من سورة الأنفال. وقوله : { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره } الآية 26. من سورة الأنفال .

(1) مسند الإمام أحمد 431/5 ، ابن هشام 268/2 .
(2) دلائل النبوة للبيهقي 79/3 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما تحدثت عن الأنفال والغنائم التي غنمها المسلمون في هذه الغزوة في آيتين اثنتين ، الأولى قوله تعالى : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول } الآية الأولى من سورة الأنفال. وهي التي سميت السورة بها، وقد ركز القرآن في هذه الآية على تربية الصحابة ، فحثهم على تقوى الله ، ونبذ الخلاف لأجل هذه الأمور ، وإصلاح ذات البين ، وأمرهم بطاعة الله ورسوله ، وتفويض أمر هذه الغنائم لهما يقسمها النبي ρ على بحكم الله تعالى.

ولما كانت تربية الصحابة ، وتزكية نفوسهم هي الأمر الأهم عند الله سبحانه ، لأنها المحور الذي يدور عليه الفلاح والخيبة { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } [1] قدمها في الذكر على جميع أحداث الغزوة. ولما كانت الأنفال هي السبب المباشر لهذه التربية والتزكية كان لتسمية السورة بها مناسبة ظاهرة وحكمة بليغة. أما الآية الثانية فقد فصلت مصارف الغنائم وذلك في قوله تعالى : { واعلموا أنما غنمتم من شيء } الآية 41 من سورة الأنفال.

وركزت الآيات على قضية الأسرى وما أخذ منهم من الغنائم ، فتحدثت عن ذلك في خمس آيات ، من قوله تعالى : { ما كان لنبي أن يكون له أسرى } الآية 67 من سورة الأنفال إلى قوله تعالى : { والله عليم حكيم } الآية 71 من السورة.

وقد أضافت الآيات المتعلقة بالغزوات عموماً ، وبغزوة بدر خصوصاً ؛ إلى مصادر السيرة النبوية إضافات واسعة[2] أهمها في نظري: ذلك الكشف

(1) الشمس آية 9-10.
(2) كأسباب النصر والهزيمة ، وأثر الطاعة والاختلاف، والتنازع والائتلاف، وقوة الإيمان واليقين ، وسنن الحياة العامة في السلم والحرب؛ ومن هذه السنن : سنة التداول للقوى والتفوق المادي والحضاري قال تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس". وهذا الانتقال لمراكز القوى والتقدم تمحيص للمؤمنين في حال تخلفهم ، ونصر وتمكين لهم حال تقدمهم وهو بالنسبة للكافرين استدراج ومحق فال تعالى :" وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين". وقال تعالى:"فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء= =حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون". انظر حديث القرآن الكريم عن الغزوات للدكتور محمد بكر آل عابد 12/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الدقيق للنفس البشرية ، تكوينها ، دوافعها ، حوافزها ، ثباتها وتخاذلها ، آمالها ومخاوفها ، صبرها وجزعها ، إقدامها وإحجامها ، إيمانها ونفاقها، والنفس رغم الاختلافات الفردية في الصفات تبقى واحدة الجوهر ، ويبقى قدر مشترك بين البشر في المشاعر والانفعالات تجاه الأحداث التي تواجههم في الحياة تكرر العلل والأسباب القديمة والحديثة وإن اختلفت الصور والملابسات. (1)

ومما سبق يتبين لنا أن التوثيق القرآني لأحداث غزوة بدر فريد في نوعه، معجز في أسلوبه ، تركز معظمه في سورة الأنفال ، وتجاوزها أحياناً إلى سور أخرى لحكم بليغة وأسرار عجيبة.

وكلما تدبرنا هذا القرآن أكثر فُتح عليه فيه أكثر ، فهو الذي لا يَخْلَق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ، أسأل الله تعالى أن يجعله ربيع قلوبنا ونور أبصارنا.

(1) المرجع السابق 12/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com